Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وابحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الفرق الصوفية في الجزائر من منظور المستشرقيْن: "سبنسر ترمنجهام" و"شارل أندري".

The title of the article: the sufi paths in Algeria From the perspective of orientalists : "Spenser Termengham and " Charl Andrey Juliane

جبار سليمان Djebbar slimane
جامعة الجزائر 01 University of Algeria 01
slimananas@hotmail.fr

تاريخ الاستلام : 2018-07-22 تاريخ القبول : 2018-11-22

ملخص:

هدف هذا البحث إظهار زاوية فقط ـ من الدرس الاستشراقي العام ـ والكشف عنها من المنظور (الإنجليزي والفرنسي) للطرق الصوفية التي انتشرت في الجزائر منذ القرن الثامن حتى القرن التاسع عشر. ومنها: القادرية والشاذلية، والجازولية والرحمانية والتيجانية والدرقاوية والسنوسية، وما تعلق بنشأتها ومشايخها وممارساتها الاجتماعية والسياسية ومقاومتها للمحتل ومخلّفاته.وقد ألزمنا السؤال المطروح ـ إلى أي مدى يمكن تصديق ما كتبه المستشرقون حول هذه الطرق؟

بتقديم نتاج مستشرقين هما: البريطاني "سبنسر ترمنجهام" في كتابه" الفرق الصوفية في الإسلام" والفرنسي "شارل أندري جوليان" في كتابه "إفريقيا الشمالية تسير" وتتبّع ما كتباه حول الطرق الصوفية بالجزائر خاصة والكشف عن منهاجيهما المتبعان في ذلك. وإبراز المنصف منهما والمجحف، بعيدا عن كل ذاتية والتزاما بكل موضوعية.

الكلمات المفتاحية:

الاستشراق؛ الفرق؛ التصوف؛ الطرق.

Summary :

Our goal of this research is to show one side – of the general Orientalism lesson- only and to reveal it from the (French and English) perspective of the sufi paths in Algeria from the eighteenth to the nineteenth century, such as El Kaderia, Chedhelia, El Djazoulia, Errahmania, El Tijania, El Derkaouia and ESnoussia, and to reveal everything about it as its leaders, social and political practice and its resistance against the colonized.

So we have asked the following question- how far can we believe what orientalists have written about these paths؟

to answer this question we present the results of the two mentioned orientalist schools which are: the British "Spenser Termengham" his book "Sufi groups in Islam "and the French " Charl Andrey Juliane" his book " North Africa going" then we track what they wrote about Sufi Paths in Algeria and reveal their method by showing the wrong and the right in it in comparative method and in an objective way.

Key words:

Orientalism, Groups, Sufism, Path.

1. مقدمة :

خطا الاستشراق قدما في التراث العربي الإسلامي حتى أوغل فيه، باحثا ومستقصيا بين أرجائه في الفكر والفلسفة، والفن والأدب وغيره، وفي غمار بحثه انتبه إلى التصوف، فوجده دسما ثرًّا، فرتعت أقلام كاتبيه في مرعاه الخصيب، وانبرت تخرج فيه التواليف، وتعدُّ حوله التصانيف. في أصوله ومصطلحاته، ومناهجه وطرقه، وحول أربابه وأعلامه، في سنيّه وفلسفيّه، في أفكاره ونظرياته، حتى تخصص بعضهم فيه كأمثال "رينولد نكلسون" و" لويس ماسنيون" و" وهنري كوربان" و" أنا ماري شيمل" وغيرهم. ثم تتبعوا آثاره من المشرق الإسلامي حتى المغرب الكبير، مؤرخين له ومحققين من الفتح الإسلامي حتى زمننا المعاصر.

وقد برز اهتمام المدارس الاستشراقية بتاريخ التصوف في الجزائر، منشأ وأعلاما، وطرقا.

إن هدفنا في هذا الدراسة إجلاء بعض من هذا التاريخ، وقيدنا الدراسة بزمن التواجد العثماني بالجزائر. تحدونا إلى ذلك **الإشكالية** التالية: ما سبب اهتمام المستشرقين بالطرق الصوفية في الجزائر؟ وهل كانت دراستهم دراسة موضوعية؟ وإلى أي مدى يمكن الحكم بصدق نتائجهم المتوّصل إليها؟

في ضوء هذه الإشكالية وتوابعها من الأسئلة الفرعية، تخيرنا مستشرقين، من مدرستين مختلفتين:

الأول: مؤرخ عاش في الجزائر منذ كان في الخامسة عشرة من عمره، كما عمل فيها وهو "**شارل أندري جوليان**" من المدرسة الاستشراقية الفرنسية في مؤلفه الموسوم بـ" **إفريقيا الشمالية تسير**"[1]، والثاني: "**سبنسر تريمنجهام**" من المدرسة الإنجليزية وقد أرخ للفرق الصوفية في المغرب والجزائر في كتابه" **الفرق الصوفية في الإسلام**"[2].

لم تطل أنظارنا فيما بحثناه **دراسة** تناولت تحليل نظرة المستشرقين الآنفين للفرق الصوفية الجزائرية.

وبمنهج تحليلي نقدي حاولنا ما أمكننا جمع شتات ما ذكراه في كتابيهما في مطلبين ومناقشته علميا اعتمادا على بعض كتبة تاريخ التصوف في الجزائر، كل ذلك لنؤصل الصائب ونرد على المجانب. بكل موضوعية نائين عن الذتية التي لا تمت للبحث العلمي بأي صلة.

2ـ المطلب الأول: "شارل أندري"... والإسلام الصوفي.

يبدأ المستشرق "شارل أندري"[3]كلامه عن "متصوفة بلاد المغرب" بوصف المسلم البربري الذي يسكن شمال إفريقيا وبيئته الدينية المحيطة به، فالمسلم عنده "متشبث بمعتقداته ومتصلّب في عبادته"[4]وأرضه ـ المغرب الكبير ـ مسرح جامع بين دعاة التصوف، و دعاة البدع، والفقه مذهبان، حنفي مدعوم، ومالكي مختار، يقول: " ...فقد وجد المنادون به ـ يقصد التصوف ـ أذنا صاغية من المسلم لمقاومة الانحرافات التي دخلت على الإسلام، وفي المقابل أيضا وجد دعاة البدع في المغرب (الكبير) أرضا صالحة لدعاياتهم، فالمذهب المتمسك بالنصوص والمعارض للتأويل المنطقي وهو المذهب المالكي الذي تبناه المغرب، رغم أن **السلطة العثمانية** دعمت المذهب الحنفي وأرادت الترويج له ـ في القرن السادس عشر ـ وهو المذهب الأقل تشددا[5]

وببند عريض كتب "شارل أندري" **الإسلام الصوفي**" مؤذنا لنفسه تحت هذا العنوان الكتابة عن تاريخ التصوف في بلاد المغرب قاطبة والجزائر خاصة. وعبارة الإسلام الصوفي لها دلالة في ذهن للقارئ المتمعن تنبؤ أن الإسلام روافد شتى أو ألوان مختلفة موضوعة تحت الطلب لمن أراد أن يختار، وما هو في الحقيقة إلا دين واحد فرضه رب واحد من اعتنقه صار مسلما. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾[6]**وقال:** ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[7]، **وقال أيضا:** ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾[8]، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن دعا الناس دعاهم لهذا الدين الواحد، وهو ما يعترف به بعض المستشرقين أمثال المستشرق الإنجليزي "مارغو ليوث" الذي يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ...كان قد أسس دولة وأعطى القبائل نقطة تجمع في الدين المشترك"[9]، وما تلك الأوصاف التي تطلق على الإسلام " إسلام صوفي" أو "إسلام سياسي" أو "سني" ...أو غيرها من الأوصاف، سوى تضليل للمجتمعات التي لا تعرف الإسلام، وحتى لمن يعرف الإسلام ولا يفهمه.

ولا يمكن بحال أن يطلق من خلال من برزت عندهم النزعة الروحية، وغلبت عليهم تزكية النفس ـ فانزاحوا إلى هذا الجانب من الإسلام وعمدوا إلى التربية والسلوك ـ عن إسلامهم "إسلام صوفي"، بل يقال "صوفية مسلمون"، أو صوفية الإسلام" أو "التصوف الإسلامي"... وما إلى ذلك. فهم جزء من الإسلام وليسوا كل الإسلام ومحال أن يسحب الجزء على الكل.

وبعدما مهّد "شارل أندري" بالحديث عن انتشار الإسلام في أرض المغرب، أردف بالقول:" ...وبجوار الإسلام السني انتشر وترعرع إسلام صوفي"[10]وهي عبارة لا تكاد تقرأها حتى ينقدح في ذهنك مقابلة "الإسلام الصوفي" ـ إن قبلنا العبارة ـ بـ "الإسلام السني" وعلى هذا الأساس إما أن يكون التصوف من الإسلام فهو داخل فيه كما أسلفنا "تصوف إسلامي"، وإما أن يكون خارجا عنه ـ في مقابلته ـ أي "إسلام صوفي"، ما

يوحي أن التصوف في بلاد المغرب لم يكن سنيا وإنما هو بدعي خارج عن الإسلام.

ثم نجده بعد هذا الحكم على التصوف في بلاد المغرب، يقول عن الصوفية:"...الذين اشتقّ لهم هذا القول ـ على ما يظهر ـ من لباسهم جلباب الصوف، أقاموا أواخر القرن الثامن خلوات وأخذوا يحاولون فيها عن طريق امتحانات وتعبدات زائدة عن التعبدات المطلوبة، أن يصلوا من القيام بالفرائض الشرعية حسب النصوص إلى الحقيقة الربانية على مراحل نفسانية"[11]

وهذه حجة عليه وليست له، لأن الزيادة على العبادة المطلوبة هي النافلة والنافلة سنة، فيصبح التصوف بهذا المعنى سنيًّا. أو مجاهدة والمجاهدة مطلوبة من السالكين ليترقّوا في المقامات.

ويرجع "شارل أندري" انتشار حركة الصوفية في المغرب إلى القرن الثامن، وبلغت أوجّ انتشارها في القرن الخامس عشر ...وقد انبسطت حتى القرن التاسع عشر **طرق** القادرية والشاذلية والجازولية والرحمانية والتيجانية والدرقاوية والسنوسية بمجهودات بعض مشايخ الطرق، هذه لمجهودات حسب رأيه جعلت المريدين يهبُّون نحو **الزوايا** الكبرى، فقد كان لها دور المعبد والمدرسة والفندق يأوي إليها عابر السبيل[12].

ولكن حين كلامه عن شيخ الطريقة الذي يسميه: **"كبير الطريقة"** يجعله متلق من الله للبركة، "تلك البركة التي تمكنه من الإتيان بالكرامات"[13]. ويفهم من قوله هذا: أن الكرامات مكاسب وليست مواهب !! يعني: أنها بإرادة الشيخ!!

فمن المعلوم أن الكرامة تربط بالولي، وشيخ الطريقة يمكن أن يكون وليا، ويمكن أن يكون مدعيا أفاكا، فإن قصد شارل أندري الأول منهما فالكرامة ليست بيده، ولا يستطيع الإتيان بها (فهو المراد وليس المريد) إنما هي بإرادة الله، وإن كان مقصوده الثاني فلا تسعى في هذه الحالة كرامة ولكن هي من قبيل السحر والشعوذة، وفي ذلك يتكلم "نيكلسون" ـ وهو عمدة المستشرقين في التصوف الإسلامي ـ فيقول:" وما يقع من الولي يسمى كرامة وهي فضل يسبغه الله عليه"[14]إذن هي خارجة عن إرادته، ثم يضيف عن قضية "الإتيان بالكرامة" فيقول: " لا يقول الولي المسلم أنه أتى بالكرامة من عنده، ولكنه يقول: "إني قد منحت كرامة، أو ظهرت على يدي كرامة""[15].

ثم إن ارتباط المريدين "بكبير الطريقة" ـ كما يقول ـ وهبّتهم نحوه ليس لأجل الكرامة أو البركة فقط، فربما غاب عن "شارل أندري" أن من هؤلاء المشايخ من كان عالما معترفا له بالفقه في الدين يتحلق حوله العامة والخاصة، وكان إلى جانب ذلك متصوفا، يجمع بين الحقيقة والشريعة، كشأن كثير من المشايخ مثل" الشيخ محمد بن عبد الرحمن صاحب الطريقة الرحمانية (1209هـ/1795م)"[16]

ودور الزوايا عند "شارل أندري" يحدده " في انطلاق **المقدمين** وهم نواب الشيخ الحاملون لتعاليمه وأوامره من الزوايا في كامل البلاد لجميع المتحمسين وهم الإخوان. وينتظر من الإخوان من الزوايا أن تزودهم بمعرفة الطريقة والشعائر الدينية وخاصة الأوراد التي يذكرونها إلى ما حد له والتي تمكنهم من الارتقاء إلى السعادة في هاته الدنيا وفي الآخرة، لذلك انتهى الأمر بالزوايا إلى حصر العبادة في طاعة ضيقة تراعي الشكليات والتعليم في طرق عتيقة متكلفة مملة"[17].

إن هذا التعميم بقول "شارل أندري": " الزوايا في كامل البلاد" يجعلنا نتصور أن دور المقدمين والمريدين "الإخوان" كان محصورا في: انتظار معرفة الطريقة، وتعلم الأوراد التي لا نهاية لها، وهل كان دور الزوايا ومريدوها هو ممارسة هذه العبادة الشكلية كما يصفها؟ لماذا غيب الدور الفعلي للزوايا في تلك المرحلة وهو الدور الجهادي؟ " فإن الدور الذي قام به شيوخ الطرق الصوفية ورجال الزوايا في الكفاح ضد الاستعمار ومقاومة حملات الغزو والاحتلال لهو دور عظيم يذكر فيشكر...فقد قاد شيوخ ومقدموا الطرق القادرية والرحمانية والسنوسية والدرقاوية كل الثورات التي نشبت ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر وقبلها ضد الإسبان والبرتغال والعثمانيين، وكان أتباع الطريقتين الدرقاوية والرحمانية أشد الناس عداوة للفرنسيين وأكثرهم حربا لهم"[18]، والدور التعليمي من تحفيظ القرآن والحديث النبوي الشريف، والدور الاجتماعي من عقود الصلح والزواج والبت في النزاعات القائمة في المجتمع...وغيرها من الأدوار التي سنتكلم عنها فيما بعد.

ثم ينتقل المؤلف إلى كلامه عن نفوذ شيوخ الزوايا، فهم من ناحية السلطة يمارسون ألعاب السياسة، ومن ناحية الشعب فقد بثوا فيهم فكرة ـ أو عقيدة ـ تقديس الأولياء. يقول:" وقد عرف أصحاب الزوايا كيف يستعملون نفوذهم في ألعاب السياسة ضد سلاطين بني مرين بفاس، و**ضد الأتراك** في عاصمة الجزائر. والصوفية هي التي نشرت في الإسلام **تقديس الأولياء** بما نسبت لبعض الرجال من نفوذ خارق للعادة، فكانت بالرغم من صريح القرآن ترضي ميولا شعبية ظهرت بوادرها في عهد الرسول، وتقديس الأولياء المسلمين الذي حل في غالب الأحيان محل عبادة الآلهة القديمة وفي نفس الأماكن التي كانت تقدس فيها، وقد ساعد على إبقاء العادات الوثنية"[19].

والغريب أن المؤلف لم يشر قط إلى اسم زاوية من الزوايا ولم يذكر صاحبها، ولم يعين قط طريقة من الطرق، ولا ذكر مكانا من الأمكنة، بل اكتفى بذكر كلمات عامة مثل: "أصحاب الزوايا" و "الصوفية" و"الأماكن"، وما هكذا يكون منهج التأريخ الذي يؤصل للحقائق !!

يضيف في نفس سياق مسألة تقديس الأولياء قائلا: "فالولي الصالح فاز لفضائله بما جعله "حبيب الله" فيستطيع حماية الناس والتوسل لفائدتهم، وبفضل البركة التي تحصل عليها والتي يورثها ذريته، كان الولي قبل كل شيء رجل الكرامات، فيستنجد الأتباع بنفوذه ويحاولون أن يظفروا بنصيب من بركته بالعبادات والصلوات والوعائد والطقوس السحرية، وخصوصا بالاتصال بجسده مدة حياته وبقبره أو مقامه بعد الوفاة. وانتشر تقديس الأولياء والمرابطين (رؤساء رباط أو منسك) ...وتعدد الأولياء الشعبيون ومن بينهم أحيانا النساء حول كبار الأولياء

أمثال الشيخ محرز بعاصمة تونس، والشيخ بومدين بتلمسان...ورفعتهم الدهماء تلقائيا إلى منزلة الآلهة العائلية القديمة، ولما كان في حياتهم من التقشف أو بدا عليهم من مظاهر الإلهام، ولو كانوا معتوهين، لذلك كانت الطريقة في خلق مستمر.

وللمرابطين ـ سواء المتصل منهم بطريقة أو المنفرد ـ تأثير عظيم على المريدين، بقدر ما يشفي غرائز الشعب الدفينة وقد استطاع أصحاب الكرامات هؤلاء إثارة الاعتقاد فيهم حتى من طرف المسيحيين واليهود."[20]

يعتبر قول "شارل أندري" صحيحا إذا ما خُص بأدعياء الولاية، أما تعميم هذه الأوصاف وسحبها على كل أصحاب الزوايا والأولياء فيه نوع تحامل، مع وصفهم دائما "بأصحاب الإلهام والكرامات"، ينبغي أن نفرق بين التقديس والتقدير، فالأولياء ليسوا رجال كنيسة كما في العصور الوسطى، ولا ينبغي لهم أن يكونوا، بل هم أناس خالطوا المجتمع وعاشوا آلامه وآماله، كمثل الشيخ أحمد الكبير" الذي عاش بزاويته بسفح جبل بني صالح (الأطلس البليدي) موقرا محترما إلى أن توفي سنة (947هـ/1540م) ذلك الرجل الصالح النزيه النصوح الساعي لخير الأشخاص والمجتمع قولا وعملا بلا توان ولا كسل، فهو الجدير بالقول: السائر: خادم القوم سيدهم، ولا شك أن بأمثاله تسعد العباد والبلاد[21]"، وهذا المعنى يفسر تقدير الناس لهم لأنهم سعوا في خدمة مجتمعهم، فإذا ظهر تقديسهم بعد ذلك فإما بفعل فاعل أو تصديق جاهل.

وهذا ـ ربما ـ قصده "شارل أندري" عن هؤلاء الدهماء بقوله: "وأعمالهم هي التي يوجه علماء الإصلاح الجزائريون أهم هجوماتهم ضدها، فهم يشهرون بالمقامات والقبور الضخمة والعقائد الطبيعية المتمثلة في الأشجار التي ترشق بالخزف والوعائد والقرابين وبيع الأشماع المباركة واستعمال السحر والطلاسم الكتابية والتمائم، وكل ذلك من آثار الوثنية التي قاومها محمد صلى الله عليه وسلم."[22]

وهذه حقيقة لا تنكر فقد اختلط حابل الطرق بنابلها شأن كل انحراف يحدث على طريق الاستقامة، فالأدعياء يسلكونه لا لشيء إلا ليفتحوا عن أيمانه وشمائله سبلا شتى ينصبون أنفسهم دعاة على أبوابها، ويشير المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" رحمه الله تعالى إلى هذه الحقيقة أيضا حين شاع التحالف بين المرابطين والعثمانيين بقوله: " فكثرت الأضرحة والقباب ودخلت الطرق الصوفية من المشرق والمغرب، وجاء الدعاة الحقيقيون والأدعياء المزيفون ينشرون أفكارهم وأورادهم بين الناس، وأصبحنا لا نكاد نجد مدينة أو قرية بدون العديد من الزوايا والأضرحة والمشاهد، عند كل بناية أناس يتبركون ويدعون ويزورون ويتقربون، وأصبح المشاهد المحايد لا يعرف وهو أمام ذلك هل يشاهد مآدب أو مآتم، وهل العابدون يعبدون الله أو يعبدون الشيوخ والمرابطين"[23]

والخلاصة عند "شارل أندري" أن الإسلام المغربي يتخذ حينئذ ثلاثة أشكال متعاصرة متماسكة في غالب الأحيان: الإسلام السني المقامة شعائره في المساجد حسب الطقوس التقليدية المعروفة والمقننة تعاليمه التشريعية العامة في الفقه الشرعي، وإسلام الزوايا والمرابطين الصوفي، وإسلام العقائد في الجن والأرواح، بعض طقوسه من بقايا الوثنية، ولم يكن هذا الإسلام منقطعا عن غيره أو متجمدا أو سالما من التأثيرات الخارجية، فمن سنة 637 إلى سنة 1060ميلادية كان مرتبطا بالشرق تمام الارتباط، ثم من النصف الثاني للقرن الحادي عشر انسلخ عن التأثير الشرقي، وولت العائلات المالكة البربرية من مرابطين وموحدين وبني مرين وجوهها قبل الأندلس، ثم رجع هذا الإسلام المغربي من جديد لنفوذ الشرق باستيلاء الأتراك عليه في القرن السادس عشر[24].

وقد سبق أن قلنا إن مثل هذه التسميات "إسلام مغربي" أو "مشرقي" أو تركي" من طرف المستشرقين هي لإيهام القارئ أن دين الله الواحد أقسام، يضاف إلى ذلك نشرهم لفكرة "استيلاء الأتراك على المسلمين وديتهم في الجزائر" فالأتراك لم يأتوا لفرض دين جديد بل هم مسلمون جاءوا أصلا بدافع الحمية عن الإسلام جهادا في سبيل الله " فقد كان الدين هو المبرر الأول لظهور العثمانيين في المشرق والمغرب...فلولا الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا الغربية بقيادة الإسبان ضد الجزائر (والمغرب العربي عموما) لما كان هناك مبرر لتدخل آل عثمان، فقد كانوا هنا كما كانوا في آسيا الصغرى قرونا من قبل، مدفوعين برغبة الجهاد والحماس الديني للدفاع عن حدود الإسلام الغربية"[25]، فالإسبان بعد أن قوي أمرهم في الأندلس بعد عام 898هـ، بدأوا بالاستيلاء على موانئ البحر المتوسط الإفريقية، وزاد أملهم بحكم شمالي إفريقيا وأخذها، وقد احتلوا موانئ وهران، والجزائر والمرسى الكبير، وبجاية [26]، " وكانت سواحل قطر الجزائر مهددة من طرف الإسبان بالخصوص، وجمهورية البندقية...وقد قيّض الله لهذا الوطن مجيئ الأخوين عروج وخير الدين للدفاع عنه وحمايته من تسلط الأجانب واستيلائهم عليه، فهذان البطلان شأنهما عظيم في تاريخ بلدنا فقد كونا فيه دولة مستقلة بنفسها لها كيان ووحدة جغرافية وحدود معينة، وليس ذلك بالشيء القليل ولا بالأمر الهين اليسير"[27]

وإدخال فكرة "احتلال العثمانيين للجزائر" بأقلام بعض من كتبوا عن تاريخنا من أبناء المدرسة الفرنسية، ليس سوى تبرير للوجود الفرنسي واحتلاله واستلابه لأرضنا، فهو محور ارتكاز لديهم من منطلق " اعتبار الجزائر مستعمرة خاضعة للأتراك أي بلد يحكمه الأجانب، وأنه من فضائل فرنسا أنها افتكت هاته البلاد من بين مخالب مستعمر متخلف همجي لتضعها تحت حكمها المستنير المتقدم والإنساني، رحمة بسكان البلاد الذين لا هوية لهم، وخدمة للإنسانية والتطور"[28]، إلى جانب منطلقات أخرى هي حياض تتجرع منها أقلام من ذكرنا لتجعل العالي سافلا والسافل عاليا، والمجرم راعيا أمينا، والأمين خائنا، فتختلط الفهوم وتثبت هذه الأفكار، والطامة الكبرى يوم أن تصبح يقينا لا يمازجها ريب، عند من تبلد حسهم وقصرت عن النظر في التاريخ بصيرتهم.

3ـ المطلب الثاني: "سبنسر ترمنقهام" ...الطرق الصوفية في الجزائر الانتشار والأدوار.

من خلال تتبّعنا لما كتبه "ترمنجهام" في مؤلفه المذكور عن تاريخ التصوف في الشمال الإفريقي والطرق الصوفية والزوايا والمشايخ، وجدناه يركز على أمرين اثنين: انتشار الطرق، والأدوار التي لعبتها خلال الفترة العثمانية.

3ـ 1ـ الفرع الأول: الانتشار.

ذكر "سبنسر ترمنجهام"[29] ثلاث فرق رئيسة في الجزائر، أهمها التيجانية، والدرقاوية والرحمانية:

ـ فالتيجانية: مؤسسها هو "أبوا العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني ولد في 1737م/1150هـ في عين ماضي في جنوب الجزائر، وقد أصبح منتسبا إلى الكثير من الأنظمة ومقدم للخلوتية. وقد نقل لنا قصة توضح" ... كيف أنه تلقى الدعوة في تلمسان عام 1782م/ 1196هـ ليؤسس فرقته المستقلة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم منحه الإذن لدخول الطريقة أثناء فترة هروبه من الاحتكاك بالجمهور من أجل تكرس نفسه لتطوره الشخصي ولم تكن لديه الجرأة بعد لادعاء المشيخة حتى أعطي الإذن عندما كان في حالة بين الاستيقاظ والنعاس لتعليم وتدريب الرجال كافة دون تحديد...بعد هذا الحدث توجه إلى الصحراء...وأخيرا استقر في واحة بوسمغون في 1798م/1200هـ استقبل إلهامه النهائي (الفتح) في 1798م/1213هـ في مقر تعبده بالصحراء ...وانتقل إلى مراكش ليبدأ دعواه الواسعة في فاس.[30]

ولا يفهم هذا السعي من الشيخ "التيجاني" أنه كان يدعو إلى تتبع الطريقة، ولكنه دعا إلى الإسلام عموما، وليس فقط في الجزائر والمغرب "فقد كان للتيجانية دور مهم في انتشار الإسلام في إفريقيا...وفاس اتخذها التيجاني مركزا لنشر دعوته، وقد قضى الشطر الأكبر من حياته متنقلا لتنظيم شؤون طريقته...وكثر أتباعها في حوض السنيغال، وتمبكتو، وسيجو، وبرنو وشنقيط"[31]

وبالعودة إلى الجزائر فقد ذكر "ترمنجهام" أن الطريقة وإن كان مؤسسها انتقل إلى المغرب فإن هذا لم يمنع انتشارها في الجزائر فرغم أن أحمد دفن في فاس، حيث أصبح ضريحه مزارا، فإن اتجاه الفرقة تحرك إلى مركزين بالجزائر، قد اختار أحمد مقدم زاوية تمهولت بالقرب من تماسين، هو "علي بن عيسى" كخليفة له ومع بداية القرن العشرين أصبحت الفرقة التيجانية من أهم الفرق الصوفية في مراكش والجزائر[32].

ـ والدرقاوية[33]: التي بدأت نشاطها على يد قائد زهد في خلافة الشاذلية الزروقية هو "أبو حمد العربي الدرقاوي"، والذي كان معاصرا للتيجاني[34]

ومن فروع الدرقاوية الموجودة في الجزائر ذكر: المهاجية أو القدورية: ومؤسسها "سيدي بوعزة المهاجي موستنجنام الذي خلفه تلميذه "محمد بن سليمان بن عودة القدور" من ندروما. العلوية: أسسها "أحمد العلوي" الذي بعد أن قضى تلمذته في العيسوية، أصبح تلميذ "محمد البوزيادي" ...ودفن في الزاوية بالقرب من موستنجنام. بالإضافة إلى ذلك فهناك زوايا مرتبطة بـ: "محمد الميسون" رئيس الفرع الجزائري توفي عام (1883م/1300هـ) و"عدة بن غلام الله" توفي (1860م) وزاويته وضريحه بالقرب من تيرين، و"العربي ابن عطية عبد الله أبو الطويل الونشريس"[35]

ـ وأما الرحمانية: في الجزائر وتونس أسسها أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الجوشتولي الجرجوري (1718م)[36]

من أسباب الانتشار:

اعتبر "ترمنجهام" **توريث البركة** من أب إلى ابن أحد أسباب انتشار الفرق بقوله: "بينما توريث البركة من المؤسس لابنه أو أخيه أو ابنى أخيه قد بدأ في بعض الجماعات مبكرا حتى منذ القرن الرابع عشر فإنه لم يصبح منتشرا حتى القرن السادس عشر ولم يصبح عاما على الإطلاق، ففي المغرب أصبح مرتبطا بتوقير واحترام خاص للمقدسات الموروثة لدرجة أن الجماعات اكتسبت نقطة انطلاق انتسابها إلى اسم ولي أو شيخ لقبيلة أو أسرة معروفة، فالمغاربة بمعنى ما ـ أعادوا توجيه ما فهم ـ وهو تحول ارتبط في كثير من الحالات في حركة التعريب... وفي كل أنحاء الإمبراطورية العثمانية أصبحت الخلافة الوراثية واسعة الانتشار في القرن الثامن عشر، ولكنها ما تزال ممارسة عامة"[37].

ومن أسباب انتشارها أيضا **تجوال أتباعها** فمثلا يقول عن الدرقاوية "..فإن هذه الفرقة كان لها عدد غير عادي من الموالين والأتباع الذين عاشوا معروفين كدراويش، يحملون العصا ويلبسون الخروق البالية "المرقعة" ومسبحة ذات حبات خشبية كبيرة...متجولين من مكان للآخر وهذه الدروشة المتجولة ترجع إلى الدرقاوي نفسه"[38]

3ـ 2ـ الفرع الثاني: الأدوار.

انصب اهتمام "سبنسر ترمنجهام" في كتابه "الطرق الصوفية في الإسلام" ـ وهو يؤرخ لها ـ على الدور الذي لعبته هذه الطرق في المغرب قاطبة وفي الجزائر خاصة يقول في الابتداء: "وطوال تاريخ الإمبراطورية العثمانية التي شمل نفوذها العالم العربي كله تقريبا (حيث كانت تونس والجزائر دولة تابعة) فقد لعبت الفرق الصوفية دورا هاما في الحياة الدينية والاجتماعية وحتى السياسية."[39]

وقد ساق لنا هذه الأدوار مجملة نحاول تصنيفها كالآتي:

ـ الدور الإحيائي:

بتكلم "سبنسر" عن حركة الإحياء قبل القرن التاسع عشر داخل الفرق الصوفية التي دعت إليها الحاجة إلى الإصلاح ومواجهة حالة السبات

والنوم التي استغرق فيها العالم العربي تحت الحكم العثماني...كانت كل التنظيمات العربية تضعف في حياتها الداخلية وكانت الفرق متدهورة جدا، وبداخلها كانت الطريقة الصوفية الحقة قد ضعفت رغم أن بعض الأفراد والحلقات الصغيرة استمرت في اتباع الطريق الصوفي كما يذكر أن حركة الإحياء هذه قد نتجت عن جهد ثلاثة رجال كلهم ولدوا في المغرب ومنهم "التيجاني"

وقد أدى هذا إلى تكاثر الفرق الفرعية في شمال إفريقيا بصورة رئيسية. كما أن النظرة الجديدة في المغرب مرتبطة بالتيجانية.[40]

وأما الدرقاوية فتكلم عنها تحت مسمى "النهضة التقليدية الدرقاوية وفروعها"[41]ونجد لهذا لدور الإحياء الذي تحدث عنه "سبنسر" إشارات عند كتاب آخرين، فيذكر أن شيخ الطريقة الرحمانية كان خريج الأزهر وأسس في جرجرة معهدا علميا انهالت عليه الأنصار من طلبة وعلماء[42]. وكانت الزوايا قبيل الاحتلال لها مساهمة فعالة في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية بالجزائر، باعتبارها من اهم المراكز والمؤسسات التعليمية[43]

. الدور السياسي:

لا بد بداية لفهم هذا الدور من معرفة البيئة السياسية التي تواجدت فيها الطرق الصوفية، "فالقرن العاشر للهجرة الموافق للسادس عشر الميلادي عرف صراعا قويا بين إمبراطوريات ثلاث: الأتراك العثمانيون في الشرق الإسلامي، والإسبان والبرتغال في الغرب المسيحي، من أجل السيطرة والتحكم في حوض البحر المتوسط، وقد تمركز هذا الصراع منذ منتصف القرن في الشمال الإفريقي"[44]

الظاهر أن الفرق الصوفية كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدولة العثمانية، وبينهما مد وجزر، حتى أن "سبنسر ترمنجهام" ربط سقوط الفرق الصوفية في الجزائر بسقوط العثمانيين، يقول: ...وعندما سقطت الدولة العثمانية، فإن هذه الفرق تحطمت كذلك"[45]

يذكر المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" رحمه شعور الاطمئنان من جانب العثمانيين للمرابطين وشيوخ الزوايا فيقول:"...فهؤلاء قد شعروا بأن أقرب الناس إليهم هم رجال التصوف، ومنذ بداية العهد لا حظنا أن العثمانيين كانوا يطمئنون إلى المرابطين أكثر من غيرهم فيلجؤون إليهم ويتبركون بهم ويطلعونهم على خططهم ونحو ذلك مما يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين، فهذا "بيري رايس" العثماني يذكر أنه وعمه قائد الغزوة "كمال رايس" نزلا سنة (901ه) بمدينة بجاية ولجآ إلى زاوية الشيخ محمد التواتي...وظلا شتائين في بجاية حبا في الشيخ بينما كانا يذهبان في الصيف للغزو والجهاد، وأنهما كانا يحسان بالأمن في بجاية لحماية الشيخ لها"[46]

بل زاد حبهم لبعض المشايخ لدرجة أنهم أقاموا لهم الزوايا وبنو المساجد، " لما استدعى السلطان العثماني "خير الدين" لمنصب "قابودان باشا" يعني أميرا عاما على أسطوله فإنه زار الشيخ أحمد الكبير في موكب حافل فطلب منه أن يعين مجاوريه فأجابه بالقبول وبنى له مسجدا وهو المسمى جامع الترك، وحماما وهو المسمى حمام سيدي الكبير وفرنا لم يبق منه أي أثر، وعاش الشيخ أحمد الكبير بزاويته موقرا محترما إلى أن توفي سنة (947ه/1540م)"[47]

ومن ناحية أخرى فإن حركة الجزر السياسية من طرف السلطة العثمانية قد سلبت من بعض مشايخ الطرق الاطمئنان الذي وهبته لآخرين، فالتيجاني كانت علاقته سيئة مع الدولة العثمانية ونتبين ذلك من خلال قول "سبنسر ترمنجهام" عن الظروف التي اكتنفت انتقاله إلى الصحراء الجزائرية: "...هذه الظروف بالذات غامضة، ولكن يبدو أنه وقع في مشاكل مع السلطات التركية"[48]، ثم يقول عن انتقاله من الجزائر إلى المغرب الأقصى: "ومرة أخرى يبدو أن هذا كان تحت ضغط"[49]، وقد وجدنا تفصيل تلك الظروف عند صاحب "الاستقصا" بقوله:" قدم الشيخ الفقيه المتصوف أبو العباس أحمد التيجاني، إلى فاس فاستوطنها، وكان الباي "محمد بن عثمان" صاحب وهران قد أزعجه من تلمسان إلى قرية أبي صمغون فأقام بها وأقبل أهلها عليه، ثم لما مات الباي المذكور، وولي بعده ابنه "عثمان بن محمد" سُعي عنده بالشيخ التيجاني فبعث إلى أهل بوصمغون وتهددهم ليخرجوه، ولما سمع بذلك الشيخ المذكور خرج مع بعض تلامذته وأولاده وسلك طريق الصحراء حتى احتل بفاس، ولما دخلها بعث رسوله بكتابه إلى المولى "سليمان" يعلمه بأنه هاجر إليه من جَور الترك وظلمهم...فرتب له ما يكفيه، وأقبل عليه الخلق واشتهر أمره بفاس والمغرب"[50]

ويشير" سبنسر" إلى بعض المشايخ الذين كانوا في وضعهم السياسي بين مطرقة وسندان، يمكن أن نسميه "اللاستقرار السياسي" وهذا ما حدث لشيخ الطريقة الدرقاوية في وضعه بين الأتراك في الجزائر "ومولاي سليمان" في المغرب يقول:"...وكان خلال حياته ضحية للظروف التي لم يكن له سيطرة عليها...ومع ذلك فرقته أصبحت معروفة ـ وساءت سمعتها ـ كحركة سياسية دينية، وقد أصبح هو نفسه منغمسا في هذا النشاط، أما "مولاي سليمان" (فترة حكمه من 1793 إلى 1822م) فقد سعى في البداية للاستفادة من القوة الكامنة الناشئة في هذا الشيخ المستنير في تدعيم وضعه ضد الأتراك في أوران وتلمسان، ولكنه فيما بعد أدان ممارسات الفرق وقد عارض الدرقاوي أحد مقدميه "وهو عبد القادر بن شريف" لمهاجمته الأتراك في أوران (1805ـ 1808م)"[51].

ولكن الظاهر من خلال بعض الكتابات أن مقدم الطريقة "بن شريف" ليس الوحيد الذي أعلن الثورة على الوجود العثماني فهناك " محمد بن الأحرش في شرق الجزائر، وقد حظي ابن الأحرش بدعم وتأييد بعض المرابطين أمثال الشيخ عبد الله الزبوشي مقدم الطريقة الرحمانية بنواحي قسنطينة، وابن بغريش والشيخ مولاي الشقفة...وبقيت الطريقة الدرقاوية وراء الكثير من الثورات التي وقعت في جميع أرجاء الوطن ضد الحكم العثماني"[52]

ـ الدور الديني الاجتماعي:

يبرز "ترمنجهام" هذا الدور للطرق، فهو يقول مثلا عن الدرقاوية: "لقد جلبت الفرقة عضويتها في مجال واسع من الجماعات الاجتماعية، وكان سكان المدن يتلون أذكارهم...ويذهبون أحيانا في زيارات للأضرحة، ولكنهم كانوا يمارسون حياتهم العادية، أما بين رجال قبائل الجبال القرويين، فإن الارتباط المحلي كان يعتبر رباطا مجددا بقوة روحية يثير الحماس الذي كثيرا ما دخل في نزاع مع الفرق الأقدم... هذه الفرقة كان لها عدد غير عادي من الأتباع يتلون الابتهالات ويرتلون القرآن"[53]

ونزيد على ذلك أن الزوايا كانت أيضا مراكز لإعداد الدعاة والذين كان يرسل أكثرهم استعدادا للتعمق في الإسلام وثقافته إلى مراكز العلم مساجده، في الحرمين والأزهر ومسجد دمشق الجامع والقيروان وفاس وغيرها، ثم توجههم بعد ذلك إلى مناطق مختلفة من إفريقيا، وقاموا بجهود كبيرة في نشر الإسلام[54]، هذا من الجانب الخارجي، أما الجانب الداخلي لهذه الطرق، فلا مجال لإعطاء أمثلة، لأن كل الزوايا تأسست على الفكرة الدينية، لكن نكتفي هنا بذكر الوظيفة الدينية التي كانت تكتسي أهمية مركزية سواء في بناء الزاوية أو في توسعها، من خلال تركيزها الشديد على الجوانب الروحية والدينية في نشاطها اليومي، ودور حلقات التوعية التي كانت تنظم داخل حرم الزاوية في مجال العبادات، والفرائض، وآداب السلوك والمعاملات...وقيامها بوظائف الإطعام والإيواء، والوساطة والتحكيم والفصل في المنازعات والشفاعة[55].

وفي الحقيقة فقد رسمت الزوايا ـ آنذاك ـ داخليا وخارجيا صورة عن الإسلام في قلوب سكان الجزائر وبلدان إفريقيا، "وقد تجلى كخلق ودين سمح يفيض حبا للناس جميعا واحتراما لهم مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم ودياناتهم، في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وحسن معاملة ومجاورة أهل الكتاب، بل والناس جميعا، تجلى كل ذلك بشكل يدعو للإعجاب حقا في حياة وسلوك أتباع تلك الطرق مما كان له تأثير السحر في تحول الإفريقيين إلى الإسلام"[56]

4. خاتمة:

في ختام هذه الدراسة المقتضبة نصل إلى النتائج التالية:

ـ تظهر الطرق الصوفية أيام التواجد العثماني بمظهرين: مظهر المحافظة على الدين والسعي إلى نشره والدفاع عن حياضه، ومظهر البدعة والعبادات الزائدة، والطقوسية الزائفة، وتقديس الرجال لا تقديرهم، والارتباط بهم أحياء، وبأضرحتهم أمواتا، وهي إلى جانب ذلك متغلغلة في المجتمع ومتجذرة فيه، وزواياها إما مدارس أو مطاعم، أو مراقد، وللطرق كلمتها في المجتمع وشيوخها مطاعون.

ـ تبرز حركة المد والجزر السياسية بين الطرق الصوفية الكبرى " التيجانية والدرقاوية والرحمانية" مع السلطة العثمانية، فهي إما مساندة أو معاندة، مرحبة بالوجود العثماني بأرض الجزائر أو رافضة له، والمفارقة تظهر في أن بعض المرابطين حملوا السلاح مع العثمانيين لرد الغازي الأوروبي بينما حمل بعضهم السلاح ضد العثمانيين.

ـ السلطة العثمانية فسحت المجال للطرق الصوفية ودعمتها ودعت إليها، وأجزلت العطاء لأشيخها، وضيقت على بعضها وحاصرت مشايخها كما فعلت مع الشيخ "التيجاني".

ـ اهتمام المستشرقين بالطرق الصوفية يعود إلى كون هذه الأخيرة عملت منذ البداية على مقاومة المد المسيحي في الجزائر وفي شمال إفريقيا عموما، وأنها أنشأت الرباطات ودورها هو الجهاد ومقاومة الغزاة إسبانا كانوا أو برتغاليين أو فرنسيين من بعد. وقد حافظت على موروث المسلمين المقدس وهو القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لا سيما في الأرياف والقرى.

ـ لذلك عملت أقلام بعض المستشرقين ـ خاصة الفرنسية ـ على السلخ التاريخي لهذه الطرق من مبادئها التي قامت عليها قبل الاحتلال الفرنسي، وتشويهها لدى القارئ المسلم وغير المسلم لضرب أصالة الإسلام في الجزائر، ومثال ذلك تسمية "الإسلام الصوفي" عند "شارل أندري".

ـ استعمال منهج التعميم كمطية لترسيخ هذا التشويه، فالطرق الصوفية أيام التواجد العثماني بالجزائر ليست نفسها بعده، وإلباس الأول منهما بلباس الثاني تعدٍّ على الحقيقة التاريخية.

ـ من غير المنصف وضع الاستشراق كله في موضع المتهم وحصاره بالأحكام الآنفة، ولكن هناك من كتب عن تاريخ الطرق الصوفية فأنصف، وأبرز الدور الفعلي للفرق الصوفية وتفاعلها الإيجابي مع واقعها، ويعد "سبنسر ترمنجهام" كأحد هذه الأقلام. وهناك من كتب عنهم فأغرض وأجحف، ويبرز "شارل أندري" في هذا الجانب كممثل للمدرسة الفرنسية.

ـ ليست الزوايا بمنأى عن الأخطاء، ولكن لا تُسوقُ للقارئ على أنها الكنيسة أيام عصور الظلام، وليس الأشياخ بمعزل عن الزلل فهم بشر يقصّرون، ولكن لا يكتب عنهم كما يكتب عن رجال الدين في أوروبا وممارساتهم، إن تشبيه هذا بذاك هو نسف لرمزية تاريخية يعيش على خطاها المجتمع الجزائري.

ـ إن الإجحاف وعدم الإنصاف يكمن في منهج "التعميم" الذي يكتب به كثير من الغربيين عن تاريخنا، والتعميم هو تشويه لديننا ولتراثنا ولذاتنا.

ـ إن التصوف الذي حافظ على روح الإسلام وروحانيته بعد فتح شمال إفريقيا، ووقف سدًّا منيعا لهجمات الكنيسة الصليبية، وورث الأجيال اللاحقة كتاب الله عز وجل، حتى القرن التاسع عشر الميلادي طاله التغير فحاد عن مساره بفعل الفاعلين وتصديق الجاهلين، والبطولة اليوم أن تنفث فيه تلك الروح التي حركته طيلة حقب كان فيها رجال التصوف رهبانا بالليل فرسانا بالنهار، ليبعث من جديد فيحيا على ربانية الرجل الصالح "سيدي بومدين" التلمساني، وبطولة الأمير عبد القادر بن محي الدين رحمهم الله أجمعين.

5. قائمة المراجع:

1ـ ترمنجهام: سبنسر، **الطرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة: عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية، :1994م.

2ـ جوليان: شارل أندري، **إفريقيا الشمالية تسير**، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، (د، ط): 1396هـ، 1976م.

3ـ الدوري: تقي الدين عارف، والدجيلي: خولة شاكر، **تاريخ المسلمين في إفريقية**، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط 1: 2014م.

4ـ دويب: عبد الرحمن، **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1: 2013م.

5ـ سعد الله: أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1: 1998م.

6ـ شاكر: محمود، **التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4: 1421هـ، 2000م.

7ـ الطيب: العماري، **"الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر"**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد:15، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، جوان 2014م.

8ـ عبد القادر: نور الدين، **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، بير توتة، الجزائر، (د، ط):2006م.

9ـ العقبي: صلاح مؤيد، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت، لبنان، طبعة: 2002م.

10ـ العقيقي: نجيب، **المستشرقون**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3: 1964م.

11ـ الفشتالي: أبو فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق: عبد الكريم كريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، المغرب، (د، ت)، (د، ط).

12ـ القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، **الرسالة القشيرية**، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط): 1422هـ 2001م.

13ـ قنان: جمال، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1994م.

14ـ لوصيف: فوزية، **"الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح"**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد 28.العدد 01.

15ـ الناصري: أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، (د، ط): 1418هـ، 1997م.

16ـ النقيرة: محمد عبد الله، **انتشار الإسلام في شرقي إفريقية ومناهضة الغرب له**، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1402هـ، 1982م.

17ـ نيكيلسون، رينولد، **الصوفية في الإسلام**، ترجمة: نور الدين شريبة، الشركة الدولية للطباعة، مدينة 06 أكتوبر، مصر، ط2: 1422هـ، 2002م،

-Charles Brosselard **: Les "Khouan" : de la constitution des** 18 **ordres religieux musulmans en Algérie** : imprimerie de A. Bourget. Alger. Aout 1850

-D.s. Margoliouth: **Mohammed and the Rise of islam**, New 19 .York and London. The knicker bocker press, Third édition:2003

6ـ هوامش:

[1]ـ **إفريقيا الشمالية تسير**:(L'Afrique Du Nord En Marche)ترجمة فريق من المترجمين، في خلال سنة 1953م، طباعة الدار التونسية للنشر بتونس، صدرت الطبعة المترجمة سنة 1369 هـ/ 1976م، في 492 صفحة. = ينظر: [جوليان، شارل أندري، **إفريقيا الشمالية تسير**، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، (د، ط): 1396هـ، 1976م.]

[2]ـ **كتاب "الطرق الصوفية في الإسلام"** (The Sufi Ordres In Islam): كتب باللغة الإنجليزية وطبع بجامعة أكسفورد بلندن سنة 1973م، وترجمه إلى اللغة العربية عبد القادر البحراوي، طباعة دار المعرفة الجامعية سنة 1994م، يحوي تسعة فصول في 422 صفحة. = ينظر: [ترمنجهام، سبنسر، **الطرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة: عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية، :1994م.].

[3]ـ **شارل أندري جوليان** (Ch. A. Julien): مستشرق فرنسي، من أساتذة السوربون، ومن آثاره: شمال إفريقيا (باريس 1931م) ومن مباحثه: طبيب ومترجم وأستاذ للعربية (المجلة الإفريقية 1942 م) والخلافة والعالم الإسلامي (مجلة التارخ الحديث 1926م) = [العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3: 1964م، ج1، ص 242.]

[4]ـ جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 23.

[5]ـ ينظر: المصدر نفسه، ص 23.

[6]ـ سورة آل عمران الآية 19.

[7]ـ سورة آل عمران الآية 85.

[8]ـ سورة المائدة الآية 03.

[9]ـ D.s. Margoliouth: **Mohammed and the Rise of islam**، New York and London. The knicker bocker press, Third édition:2003, p71.

[10]ـ ينظر: جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 25.

[11]ـ ينظر: جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 25.

[12]ـ ينظر: جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص ص: 25، 26.

[13]- جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 26.

[14]- نيكيلسون، رينولد، **الصوفية في الإسلام**، ترجمة: نور الدين شريبة، الشركة الدولية للطباعة، مدينة 06 أكتوبر، مصر، ط2: 1422هـ، 2002م، ص 123.

[15]- المصدر نفسه، ص 125.

[16]- عُدّ من علماء الجزائر في العهد التركي إلى جانب طائفة أخرى ممن كان معروفا بالتصوف. = ينظر [عبد القادر، نور الدين، **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، بيرتوتة، الجزائر، (د، ط):2006م، ص 201.

[17]- جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 26.

[18]- العقبي، صلاح مؤيد، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت، لبنان، طبعة: 2002م، ص 72.

[19]- جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 26.

[20]- جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 26، 27.

[21]- عبد القادر، نور الدين، صفحات من تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 275.

[22]- جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 27.

[23]- سعد الله، أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1: 1998م، ج1، ص ص: 466،467.

[24]- جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص ص: 27، 28.

[25]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، ص 460.

[26]- ينظر: شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4: 1421هـ، 2000م، ج8، ص 518.

[27]- عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 48.

[28]- قنان، جمال، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1994م، ص 22.

[29]- **سبنسر تريمنجهام** (J. S. Trimingham): من آثاره: الإسلام والحبشة، وهو كتاب نفيس لا يحصره عنوانه، وإنما يتناول اتصال تاريخ الحبشة بالإسلام خلال قرون... وقد وقع في ثلاثمائة صفحة (جامعة أكسفورد 1952). = [العقيقي، المستشرقون، مصدر سابق،ج2، ص 536.]

[30]- ترمنجهام، الطرق الصوفية في الإسلام، مصدر سابق، ص ص: 173، 174.

[31]- الدوري: تقي الدين عارف، والدجيلي: خولة شاكر، **تاريخ المسلمين في إفريقية**، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط 1: 2014م، ص 243.

[32]- ينظر: ترمنجهام، الطرق الصوفية في الإسلام، مصدر سابق، ص 177، 178.

[33]- "يرى البعض أن الطريقة الدرقاوية اشتقت اسمها من (Derka) وهي مدينة صغيرة تقع في المغرب الأقصى"=

Charles Brosselard **: Les "Khouan" : de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie** : imprimerie de A. Bourget. Alger. Aout 1850. P 08.

[34]- ترمنجهام، الطرق الصوفية في الإسلام، مصدر سابق، ص 180.

[35]- المصدر نفسه، ص ص: 182، 183.

[36]- المصدر نفسه، ص 134.

[37]- المصدر نفسه، ص ص: 123، 129.

[38]- المصدر نفسه، ص 184.

[39]- المصدر نفسه، ص 123.

[40]- ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 171، 174.

[41]- المصدر نفسه، ص 180.

[42]- ينظر: دويب، عبد الرحمن، **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1: 2013م، ج3، ص 125.

[43]- لوصيف، فوزية، **"الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح"**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، مجلد 28، العدد 01، ص 395.

[44]- الفشتالي، أبو فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق: عبد الكريم كريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، المغرب، (د، ت)، (د، ط)، ص 01.

[45]- ترمنجهام، الطرق الصوفي في الإسلام، مصدر سابق، ص 123.

[46]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، ج1، ص 464.

[47]- عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 275.

[48]- ترمنجهام، الطرق الصوفي في الإسلام، مصدر سابق، ص ص 173، 174.

[49]- ترمنجهام، الطرق الصوفي في الإسلام، مصدر سابق، ص ص 173، 174.

[50]- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، (د، ط): 1418هـ، 1997م، ج8، ص 105.

[51]- ترمنجهام، الطرق الصوفي في الإسلام، مصدر سابق، ص 180.

[52]- العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، مرجع سابق، ص ص: 231، 232.

[53]- ترمنجهام، الطرق الصوفي في الإسلام، مصدر سابق، ص 184.

[54]- ينظر: النقيرة، محمد عبد الله، **انتشار الإسلام في شرقي إفريقية ومناهضة الغرب له**، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1402هـ، 1982م، ص 158.

[55]- ينظر: الطيب، العماري، **"الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر"**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد:15، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، جوان 2014م، ص ص: 130، 132.

[56]- النقيرة، انتشار الإسلام في شرقي إفريقية، مرجع سابق، ص 158.